مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٦) حزيران (٢٠١٠)

اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الأول (١٦٨٩-١٧٢٥)

د. عباس عبد الوهاب علي الصالح
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يمثل عهد القيصر بطرس الاول (peter I) (الكبير)[١] مرحلة مهمة من مراحل التاريخ السياسي لروسيا، فقد وضع القيصر بطرس الاول اللبنة الاولى لبناء روسيا الحديث ووسع حدود دولته، وبالرغم ان ايفان الثالث[٢] (Ivan III) (١٤٦٢-١٥٠٥م) أول قيصر روسي أظهر اطماعه التوسعية نحو الدولة العثمانية بعد أن تحررت بلاده من السيطرة المغولية عام ١٤٨٢م،[٣] لكن التوسع الروسي الحقيقي في الدولة العثمانية بدأ مع تولي العرش القيصر بطرس الأول عام ١٦٨٩م[٤]، اذ كان لا بد من ايجاد منفذً إلى البحر حتى تتحقق نهضة روسيا، وتتخلص من حالة الضعف والتخلف التي كانت تعاني منها. غير أن السعي لتحقيق ذلك كان يدفعه إلى اصطدام روسيا مع السويد من جهة الشمال التي كانت تفرض سيادتها على بحر البلطيق، ومع الدولة العثمانية من جهة الجنوب التي كانت تبسط سيطرتها على البحر الاسود. وقد أراد القيصر بطرس الأول أن يحسم مسألة البحر الاسود أولا، ولأجل ذلك كرس سنوات حكمه الأولى لخوض غمار الحرب ضد الدولة العثمانية وعلى جبهات عديدة[٥].

ويضاف إلى ذلك سبب اخر دفعني لاختيار هذا الموضوع، وهي ان روسيا منذ عهد القيصر بطرس الاول كانت تعد احدى الدول التي تهدد الدولة العثمانية، ولكن ينبغي الاشارة ان روسيا لم تتوسع على حساب الدولة العثمانية فحسب وانما استطاعت توسيع نفوذها على حساب دول اخرى ايضا ومنها مملكة السويد والدولة الفارسية، ولذلك كان اختيارنا عنوان

البحث (اتجاهات السياسة الروسية نحو الدولة العثمانية في عهد القيصر بطرس الأول (١٦٨٩-١٧٢٥م)) لأقتصاره على دراسة جزء من السياسة الخارجية للقيصر بطرس الاول نحو احدى الدول المجاورة لروسيا وهي الدولة العثمانية.

ومسألة اخرى لابد من الاشارة لها وهي ان تاريخ الدولة العثمانية لم يحظى بالرغم من اهميته بما يستحقه من اهتمام من لدى الباحثين والمؤرخين العرب عموما والعراقيين منهم بشكل خاص، فقد اقتصر دراسة الباحثون العرب على جوانب من تاريخ الولايات العربية في عهود السيطرة العثمانية، ولكنهم كتبوا القليل عن سياسات الدول الاوربية نحو الدولة العثمانية، وهذا القليل الذي كتب ركز على دراسة سياسة بريطانيا نحو الدولة العثمانية. والحقيقة ان هناك حاجة واضحة لدراسة سياسية روسيا نحو الدولة العثمانية، وما كتب عن القيصر بطرس الاول تتناول عصره بشكل عام، ومن هذه الكتب (تاريخ روسيا الحديث) لنخلة قلفاط، وكتاب (الروض الازهر في تاريخ بطرس الاكبر، امبراطور الموسقو) ترجمة احمد افندي عبيد الطنطاوي، وكتاب (بطرس الاكبر) لبسام العسلي، وعدا ذلك هناك كتب تتناول تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها مع الدول المجاورة، ككتاب (تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية) لعلي حسون، وفضلا عن ذلك فان الباحث استفاد من نصوص الاتفاقيات والمعاهدات التي نشرها رشاد اكرم Reşat Ekrem في كتابه (المعاهدات العثمانية والامتيازات ١٣٠٠-١٩٢٠م ومعاهدة لوزان ٢٤ تموز ١٩٢٣م) (Osmanli Muahedleri Ve kapitülâsiyonlar 1300-1920 Ve lozan Muahedesi 24 Temmuz 1923)، وغيرها من الكتب لا مجال لذكرها الآن. في حين لم نجد كتب ودراسات تتناول صلب موضوع بحثنا.

وخلال كتابة البحث توخى الباحث الالتزام بدقة صلب الموضوع من خلال ترابط العنوان مع المتن، كما ان الباحث ابتعد عن سرد الاحداث والوقائع العسكرية في الحروب التي جرت بين الدولتين العثمانية والروسية من اجل ان لايخرج من الاطار الحقيقي للبحث.

تطرق البحث إلى الحملات الروسية نحو أوزف، وإلى جهود القيصر بطرس الاول لتشكيل تحالف اوربي ضد الدولة العثمانية، و لم يتطرق البحث إلى الحرب الروسية-السويدية

إلا من خلال اثرها على الدولة العثمانية، كما تناول البحث إلى هزيمة القيصر بطرس الاول امام القوات العثمانية على ضفاف نهر بروث، واخيرا تناول البحث الصراع بين روسيا والدولة العثمانية حول بلاد فارس.

بطرس الأول ووصيته:

نسبت إلى القيصر بطرس الأول– بعد موته – وصية[٦] وضع بها لخلفائه نهج السياسة الروسية الخارجية، وما ينبغي عليهم عمله لنجاح الامبراطورية الروسية. إلا أن الاراء تضاربت حول تلك الوصية فيما اذا كانت من بطرس ذاته، أو أن أحداً صنفها ونسبها إليه. وقد أنكر الروس حقيقتها، وقالوا أنها مجرد دعاية لا اساس لها من الصحة، وأنه ليس للقيصر بطرس الأول علاقة بها. وكان أول من أشاع أمر هذه الوصية بودولز (**bodols**) رئيس وزراء بروسيا في عهد الامبراطور فردريك الثاني (**Frederick II**) (١٧٤٠–١٧٨٦م) الذي اخبر إمبراطوره بأن سفير روسيا في برلين قد أسر إليه بوجود لائحة يسير عليها قياصرة روسيا في سياستهم . وقيل إن قساً بولنديا قدم للامبراطور فردريك وليم الثاني (**Frederick William II**) (١٧٨٦– ١٧٩٧م) صورة عن الوصية المذكورة، كان قد نقلها بنفسه عن النسخة الاصلية التي عثر عليها في وثائق الحكومة الروسية. وفي عام ١٨١٢م نشر المسيو لاسير (**Laseer**) أحد الكتبة في وزارة الخارجية الفرنسية، صورة تلك الوصية في أحدى الصحف ألفرنسية في باريس . وقيل: أنها النسخة التي قُدمت للامبراطور فردريك وليم الثاني هي من وضع لاسير المذكور، الذي أذاعها على تلك الصورة لغايات سياسية. ولكن مهما كان عليه الأمر، فقد عّد القيصر نيقولا الأول (**Nicholas I**) (١٨٢٥–١٨٥٥م) وصية القيصر بطرس الأول حقيقية، ومن ثم جعلها نهجاً للعمل له في سياسته[٧].

يرى احمد عبد الرحيم مصطفى في بحثه أن ((هذه الوصية مزورة وأنها من اختلاق الدعاية ألفرنسية لأجل استعمالها سلاحاً ضد روسيا قبل حملة نابليون المشهورة على روسيا عام ١٨١٢م، وأن منذ ذلك الوقت ترددت أخبار الوصية في مناسبات عديدة للتحذير من الخطر الروسي))[٨]. و يؤيد زكي صالح إلى ما ذهب إليه احمد عبد الرحيم مصطفى في اعتبار الوصية مزورة ((لو لم تكن هذه الوصية زائفة لكان لنا في موادها الأربع عشرة دليل على ما كان لبطرس

الكبير من مآرب في الشرق الأوسط، إلا أنها زائفة قطعا))[٩]. ولكن مهما قيل، فأن مضمون هذه الوصية متطابقة مع سياسة القيصر بطرس الاول ونهجه، وهذا لا يعني ان الوصية تعود للقيصر بطرس الاول[١٠].

الحملة الروسية الفاشلة على أزوف:

دخلت روسيا في حرب مع الدولة العثمانية عندما انضمت إلى تحالف الاتفاق المقدس[١١] (Holly League) في ايلول عام ١٦٨٧م[١٢]، وكانت الغاية من التحالف الوقوف المشترك ضد المسلمين الاتراك واخراجهم من أوربا[١٣]، وقد نجح التحالف في الحاق الهزائم المتكررة بالجيوش العثمانية في المجر، حيث استولت القوات الروسية على بودا عاصمة المجر من ايدي العثمانيين بعد أن ظلت ١٤٥ عاماً تابعة للدولة العثمانية[١٤]، وسعت روسيا من وراء انضمامها لهذا الحلف الاستيلاء على شبه جزيرة القرم، الا أن محاولاتها باءت بالفشل[١٥].

استهل القيصر بطرس الأول فور توليه الحكم، بإرسال عناصر إلى والاشيا ومولدافيا (رومانيا الحالية) التابعة للدولة العثمانية، في محاولة منه لتحريضها ضد العثمانيين[١٦]، بهدف بث حالة من القلاقل والاضطربات في اجزاء من الدولة العثمانية كي يتفرغ للسير في النهج الذي يريد تحقيقه وهو التقدم نحو البحر الاسود.

ظهر امام القيصر بطرس الأول جبهات عديدة ينبغي له محاربتها وهي الجبهة السويدية، والجبهة البولندية، والجبهة العثمانية، ولما لم يكن بإمكانه خوض الحرب على جميع الجهات في آن وأحد،[١٧] ففضلا عن رغبة القيصر بطرس الاول في الاستيلاء على البحار ، بحر قزوين وبحر البلطيق والبحر الاسود فأن الاختلاف العقائدي بين الامبراطورية الروسية النصرانية وبين الدولة العثمانية الاسلامية دفعه إلى التفكير في دخول الحرب ضد العثمانيين قبل غيرها من الجبهات، كما أن توجه الروسي نحو المسلمين الاتراك سيحقق للقيصر بطرس الأول نجاحا في إثارة المشاعر الدينية للشعب الروسي (النصراني) ويسهل له تجنيد المتطوعين للمشاركة في تجديد الحملة الصليبية لمقاتلة المسلمين الاتراك[١٨]. وفضلا عن ذلك، فان وجود اتفاقيات

وتحالفات لروسيا مع بعض الدول الأوربية كالنمسا وبولندا كالاتفاق المقدس المار ذكره تمنعه من خوض الحرب ضد هذه الدول في القريب الاجل على الاقل.

بدأ القيصر بطرس الأول منذ ربيع عام ١٦٩٥م يعمل على اعداد حملة روسية لمهاجمة الاتراك بهدف الاستيلاء على أزوف، وسارت الحملة الروسية في صيف عام ١٦٩٥م نحو نهر الدون الذي يصب في بحر أزوف، غير أن الحملة فشلت في الاستيلاء على قلعة أزوف[١٩]. وتعود أسباب فشل الحملة الروسية إلى النقاط الآتية:

أولاً: أن قلعة أزوف كانت جيدة التحصين وعليها جنود يعدون من خيرة الجنود العثمانيين.

ثانياً: قلة السفن الروسية التي شاركت في الحملة، فضلا عن عدم جاهزيتها.

ثالثاً: امتلاك الجيش العثماني خبرة قتالية عالية في مواجهة الجيوش الأوربية، الأمر الذي اجبر القيصر بطرس الأول إلى رفع الحصار عن أزوف وسحب الجيش الروسي في عام ١٦٩٥م[٢٠].

استيلاء روسيا على أزوف:

عندما فشلت الحملة الروسية الأولى على أزوف، جهز القيصر بطرس الأول حملة جديدة عام ١٦٩٦م، ولكن في هذه المرة صمم على تحقيق النصر من اجل إعادة الاعتبار للجيش لروسي لهزيمته امام القوات العثمانية عام ١٦٩٥م، واصدر أمراً بجمع الخبراء من الدول الأوربية وجلب لهذا الغرض رجال المدفعية والمهندسين من هولندا و النمسا وبروسيا والبندقية، كما أنصرف القيصر بطرس الأول لبناء اسطول بحري، وتمكن خلال فترة وجيزة من بناء (٢٢) سفينة نقل و (١٠٠) روث – طوافة– و (١٧٠٠) سفينة صغيرة، وحول كل الموانئ الصغيرة على نهر الدون إلى موانئ كبيرة حشد فيها (٢٦) ألف عامل من كل أنحاء الامبراطورية،[٢١] وقد اثمرت جهوده المبذولة بأستيلاء الجيش الروسي على أزوف وعلى قلعته الحصينة طيغان (Taygan) في ٢٨ تموز عام ١٦٩٦م[٢٢]، وسماها القيصر بطرس الأول تاجانروج (Taganarog)[٢٣].

سعى القيصر بطرس الأول إلى استثمار هذا النصر، و حصل من مجلس الدوما الروسي[٢٤] (Duma) على الموافقة لنقل ثلاثة الأف عائلة روسية إلى أزوف واسكانهم فيها، فضلاً عن ذلك فإن عدداً كبيراً من المواطنين الروس أظهروا رغبة في الأنتقال إلى أزوف والاقامة فيها، وعدداً من الجنود كذلك، ومن جهة أخرى أستفاد القيصر بطرس الأول من نصره في أزوف لدعم قدرته البحرية، وبدأ بفرض ضريبة شملت حتى الكنائس والبيع، وكان هدفه من ذلك زيادة حجم الاسطول الروسي، كما اقبل التجار لتقديم مساعدات طواعية لدعم الاسطول الروسي، وتمكينه من تحقيق الانتصار على الاتراك العثمانيين[٢٥].

بطرس الأول ومحاولته لبناء تحالفات ضد العثمانيين:

على الرغم من السيطرة الروسية على أزوف، فأن القيصر بطرس الأول واصل سياسة بناء التحالف ضد العثمانيين، وعندما رأى القيصر بطرس الأول رغبة لدى حلفاء روسيا يميل إلى صلح مع الدولة العثمانية ارسل مبعوثا إلى فينا، وأستطاع هذا المبعوث في شباط عام ١٦٩٧م من عقد تحالف هجومي بين دولته روسيا وبين النمسا والبندقية ضد الدولة العثمانية وتتار القرم مدته ثلاثة أعوام، اتفق المشاركون فيه على تنسيق العمليات العسكرية فيما بينهم وعلى عدم عقد صلح منفرد مع الدولة العثمانية[٢٦].

رأى القيصر بطرس الأول ضرورة بذل جهوداً حقيقيةً لتقوية التحالف، وعلى أثر ذلك أرسل إلى أوربا في آذار عام ١٦٩٧م بعثة شهيرة ((سفارة عظمى)) (Grand Embassy) تتكون من كبار مستشاريه إلى دول أوربا الكبرى، وأنضم إلى هذه السفارة القيصر بطرس الأول بقصد دراسة أوربا[٢٧]، فضلا عن ذلك، كان من أهداف البعثة تعزيز وتوسيع التحالف الأوربي للوقوف ضد الدولة العثمانية للسيطرة على سواحل البحر الاسود[٢٨].

خلال البعثة زار القيصر بطرس الأول بلاط براندنبرج وآل هانوفر والحكومة الهولندية والملك الانكليزي وامبراطور بروسيا والنمسا، وخصص القيصر بطرس الأول كثيراً من وقته إبان البعثة يعمل كبناء السفن في هولندا وانكلترا، كما استقدم الخبراء الأوربيين إلى روسيا، الأمر الذي كان له أثره في تطويرها وتقدمها وتحولها إلى دولة أوربية[٢٩]. لكن هذه البعثة (السفارة

العظمى) فشلت في تحقيق أهداف القيصر بطرس الأول في بناء حلف أوربي ضد الدولة العثمانية،[٣٠] وذلك لكون الوضع الدولي الذي كان قائما في أوربا آنذاك لم يكن ملائما، فالدول الأوربية كانت منشغلة بمشكلة النزاع حول وراثة العرش الاسباني (Spanish Succession)، وكان هذا النزاع جديا إلى درجة باتت تنذر بوقوع الحرب، الأمر الذي اعاق القيصر بطرس الأول في الحصول على حلفاء جدد له في حربه مع الدولة العثمانية، فضلا عن ذلك فأن حلفاءه السابقين ولاسيما النمسا كانت تعمل على عقد صلح مع الدولة العثمانية وحل خلافاتها استعدادا للحرب المقبلة في أوربا[٣١].

وعندما فشلت روسيا في تحقيق اهدافها من الحرب مع الدولة العثمانية لوحدها، وعجزت في ايجاد حلفاء لها في أوربا، اجبرت روسيا على الاشتراك في مفاوضات الصلح في كارلوفتز (Carlowitz) (١٦٩٨-١٦٩٩م). وخلال مجريات المفاوضات سعى مندوب روسيا فوزنتسين (fosentinsen) إلى اقناع حلفاء روسيا بمواصلة الحرب ضد العثمانيين، الا أن جهوده لقيت معارضة شديدة من ممثل النمسا في المفاوضات، وكذلك من ممثلي انكلترا وهولندا وذلك لأن هاتين الدولتين كانتا تسعيان أن تنهي النمسا حربها مع الدولة العثمانية في اقرب وقت ممكن لكي تشترك إلى جانبهما في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢-١٧١٣م) المقبلة[٣٢]، وفضلا عن ذلك، فأن حلفاء روسيا كانوا يسعون خلاف تعهداتهم السابقة لروسيا إلى عقد صلح منفرد مع الدولة العثمانية ، كما تخلوا عن مساندة مطلبها بالاستيلاء على مضيق كيرتش (Kearge)[٣٣]، ومن ثم لم تكن امام روسيا إلا الموافقة على عقد هدنة مع الدولة العثمانية بوساطة ممثلي انكلترا وهولندا في ١٤ كانون الثاني عام ١٦٩٩م أمدها عامان[٣٤]، وصارت هذه الهدنة مرجعاً أساسياً استندت إليه معاهدة الصلح التي وقعتها الدولتان في استانبول عام ١٧٠٠م التي استولت روسيا بموجبها على أزوف وقلعة تاجانروج وبعض المناطق الأخرى، واقر لها في أن يكون لها سفير في استانبول يتمتع ببعض الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها سفراء الدول الاخرى، كما منع خان تتار القرم من الإغارة على روسيا أو مطالبتها بالجزية[٣٥]. وتنفيذاً لبنود الهدنة اصدر القيصر بطرس الأول أمراً في عام ١٧٠١م بتعيين ب.إ.تولستوي (B.A. Tolstoy)[٣٦] كأول سفير روسي دائم في استانبول الذي بقي في منصبه حتى عام ١٧١٣م، وبعد توقيع الدولتين على بنود الهدنة، سارعت كل من النمسا

والبندقية وبولندا إلى توقيع معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية في كارلوفتز في ٢٦ كانون الثاني عام ١٦٩٩م[٣٧].

الحرب الروسية – السويدية وأثرها في الدولة العثمانية:

أستطاع القيصر بطرس الأول باحتلاله بحر أزوف من ايجاد منفذ له إلى البحر الاسود، غير أنه لم يقتنع بذلك، اذ اخذ يطمع بالسيطرة على البحر الاسود بالكامل، والذي كان حتى ذلك الحين يُعد بحيرة عثمانية، إلا أن تحقيق ذلك لم يكن بالأمر الهين في ظل الظروف التي كانت سائدة آنذاك[٣٨]، الأمر الذي دفعه إلى البحث عن ايجاد منفذ له على البحر، ولكن باتجاه الغرب نحو أوربا، من خلال الاستيلاء على الأراضي المتاخمة لبحر البلطيق،[٣٩] الذي كان آنذاك أشبه ببحيرة سويدية، اذ كانت فنلندا وانغريا واستونيا وليفونيا والجزء الاكبر من بومبرانيا املاكاً للسويد، وكانت تشارك روسيا في اطماع تقسيم تلك المناطق كل من بولندا وبراندنبرج و الدانمارك، فبولندا كانت قد فقدت ليفونيا واستونيا وتسعى لاسترجاعهما من السويد، فضلا عن ذلك، فأن الملك البولندي اوغسطس السكسوني الثاني (**Augustus II of Saxony**) كان يرغب القيام بحرب يلتقي حوله كلا السكسون – رعاياه الاصليون – والبولنديون– رعاياه الجدد– حتى يستطيع بسط نفوذه على مملكة بولندا. وعلى أثر ذلك عقدت روسيا معاهدة تحالف مع الملك البولندي عام ١٦٩٩م، اتفقت فيها الدولتان على تقسيم أملاك السويد على البلطيق فيما بينهما، وأنضم إليهما حليف ثالث هو فردريك الرابع (**Frederick Iv**) ملك الدانمارك الذي كان يرغب في ضم دوقيتي شلزفيك وهولشتاين. وبذلك يتكون التحالف الثلاثي من روسيا وبولندا والدانمارك ضد السويد، ودخل هذا التحالف في حرب طويلة مع السويد عرفت بحرب الشمال استمرت من عام ١٧٠٠م حتى عام ١٧٢١م[٤٠].

دخلت روسيا في حرب مع حليفتها بولندا، اما الدانمارك فأنها خرجت من بداية الحرب أي في عام ١٧٠٠. وكان الحدث الهام في المرحلة الأولى للحرب (١٧٠٠–١٧٠٥) هو موقعة نارفا (**Narva**) التي حدثت في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٧٠٠م وانتهت بانتصار السويد. وبعد ذلك استطاع الجيش الروسي من السيطرة على بعض المدن على شاطئ الخليج

ألفنلندي، وفي عام ١٧٠٣م وعلى مصب نهر النيفا بدا بناء مدينة بطرسبورغ، وبذلك استطاعت روسيا الحصول على منفذ إلى بحر البلطيق. اما الشيء الهام في المرحلة الثانية للحرب (١٧٠٦-١٧٠٩م) هو هجوم السويد في عمق الاراضي الروسية،[٤١] ومن ثم حدوث معركة بولتافا (**Pultava**) الحاسمة في أوكرانيا جنوبي روسيا في ٨ حزيران عام ١٧٠٩م، وفيها هزم شارل الثاني عشر (**Charles XII**) (١٦٩٧-١٧١٨م) ملك السويد وأسر حوالي ثلثي جيشه، وتبعثر الباقي في أنحاء روسيا،[٤٢] ولجأ شارل الثاني عشر مع قوة صغيرة من جيشه إلى الدولة العثمانية حيث استقبله الاتراك العثمانيين بالترحاب[٤٣]. وبطبيعة الحال، سعى الملك شارل الثاني عشر إلى تحريض الحكومة العثمانية على إعلان الحرب ضد روسيا[٤٤].

اثار النصر الذي حققته روسيا في معركة بولتافا عام ١٧٠٩م، اهتمام الدول الأوربية مما ادى إلى سعي هذه الدول للحصول على حصص لها في مملكة السويد التي اخذت تنهار تحت الضربات التي وجهها لها القيصر بطرس الأول، وفي الوقت نفسه عملت هذه الدول المحافظة على التوازن الأوربي الذي خرقته الانتصارات الروسية والمكاسب التي حققتها روسيا نتيجة لهذه الانتصارات. وقد عملت انكلترا وهولندا على اعاقة روسيا عن ترسيخ مواقعها في المنطقة المتاخمة للبلطيق وسعت كذلك إلى عرقلة توسيع التجمع المعادي للسويد. ولم تكن فرنسا هي الاخرى تسمح بالقضاء على مملكة السويد وتقوية روسيا على حسابها، ولكنها كانت مشغولة في حرب الوراثة الاسبانية مما كان يعيقها عن التدخل المؤثر في حرب الشمال، ولذلك اخذت تحرض الدولة العثمانية ضد روسيا[٤٥] وفي هذا المجال التقت اهداف فرنسا مع أهداف الملك شارل الثاني عشر، وتعاون مبعوث كل منهما على حمل الحكومة العثمانية على إعلان الحرب ضد روسيا[٤٦].

فتحت أنتصارات القيصر بطرس الأول الأبواب امامه، وأعطت لروسيا ثقة بتحقيق النصر على اكثر الجيوش تقدماً وتطوراً في العالم آنذاك، لذلك زحفت القوات الروسية غرباً للتوغل في بومبرانيا (المانيا)، سعيا للوصول الى مواجهة ستوكهولم، كما تحالف القيصر بطرس الأول مع بروسيا التي انتهزت ألفرصة وتوسعت على حساب السويد، كما توسعت روسيا في اتجاه ليفونيا وفي الاجزاء الشرقية من فنلندا، وأطلت بذلك روسيا على بحر البلطيق[٤٧].

هزيمة القيصر بطرس الأول على ضفاف نهر بروث:

لم يكن القيصر بطرس الأول يرغب في دخول الحرب مع الدولة العثمانية، سعياً من وراء ذلك التفرغ لتوسيع نفوذه باتجاه أوربا وتأجيل الحرب مع العثمانيين إلى سنوات لاحقة،[٤٨] ولكن كان هناك اسباب عديدة دفعت السلطان العثماني احمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م) لإعلان الحرب على روسيا، منها رغبة السلطان احمد الثالث استعادة ما فقدته الدولة العثمانية من ممتلكات ولاسيما أزوف في حربها مع روسيا عام ١٦٩٦م،[٤٩] كما أن قيام القيصر بطرس الأول بتقوية الاسطول الروسي في أزوف وبناء القلاع والحصون في تاجانروج يعني أن القيصر لا ينوي اعادة أزوف إلى الدولة العثمانية بالوسائل السلمية[٥٠]، وفضلا عن ذلك فأن الضغوط الداخلية كانت وراء تشدد السلطان احمد الثالث على خوض الحرب مع روسيا، ولاسيما أن السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م)، الذي سبقه تم عزله بسبب هزائمه امام روسيا. اما ما قيل عن تحريض شارل الثاني عشر ملك السويد الذي هرب إلى الدولة العثمانية بعد هزيمته امام الروس عام ١٧٠٩م، وتحريض خان تتار القرم الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في استانبول[٥١] فإنها بعيدة عن الصواب، ذلك أن ليس من المعقول أن تعلن دولة ما حرباً على جارتها اعتمادا على تحريضات من الدول الاخرى، ثم أن الدوافع المذكورة اعلاه كفيلة لأن تدفع السلطان احمد الثالث لخوض غمار الحرب ضد روسيا، التي أعلنها في تشرين الأول عام ١٧١٠م. وكان أول بادرة لإعلان الحرب ضد روسيا قيام الدولة العثمانية بإلقاء القبض على تولستوي سفير روسيا في استانبول وعلى ثلاثين من اتباعه وخدمه وحجزهم في سجن القلعة ذات الابراج السبعة في استانبول[٥٢].

لم يكن في حسبان القيصر بطرس الأول أن تعلن الدولة العثمانية حربا على روسيا، فقد كان القيصر يعتقد بألتزام الدولة العثمانية ببنود معاهدة كارلو فتز، لذلك اضطر القيصر بطرس الأول نقل عملياته الحربية من مقاطعات بحر البلطيق إلى الجنوب نحو الدولة العثمانية لمواجهة القوات العثمانية[٥٣]. ومن الناحية الداخلية عمل القيصر بطرس الأول على اثارة مشاعر الروس ضد الاتراك، الذين استقبلوا خبر أندلاع الحرب بالبهجة والسرور، وباتوا وهم يظنون أنهم زاحفون لتحرير اخوانهم نصارى المشرق من عبودية وظلم المسلمين الاتراك. ولم

يقف الأمر للقيصر بطرس الأول عند حد تحريض نصارى الروس وإنما نجح ايضا في اثارة النصارى في مولدافيا والصرب والجبل الاسود واليونان ضد الاتراك، وبات هؤلاء ينتظرون قيام القيصر بطرس الأول بتنفيذ وعوده بتحريرهم من الحكم العثماني[٤٥] وعن سياسته الخارجية سعى القيصر بطرس الأول إلى ايجاد حلفاء له في أوربا ضد الاترك العثمانيين لكن جهوده باءت بالفشل، اذ لم يفي الملك البولندي اوغسطس السكسوني الثاني بما وعده به من إرسال ثلاثين ألف جندي لدعم القوات الروسية[٥٥].

تقدم القيصر بطرس الأول على رأس جيش كبير عبر أوكرانيا جنوبي روسيا الى مولدافيا على نهر الدانوب، وخلال تقدمه استولى على العاصمة جاسي (**Jassy**)، ولكن الجيش الروسي عانى من مشاكل عديدة هناك[٥٦]، اذ بمجرد دخول الجيش الروسي لمولدافيا وجدها عبارة عن صحراء مقفرة تكاد تكون خالية من السكان، كما اتى الجراد على ما تبقى فيها من المواد التموينية، وفي الوقت ذاته، اعلن حاكم مولدافيا انحيازه للسلطان العثماني وتخليه عن تحالفه مع القيصر بطرس الأول، كما أن النصارى في البلقان تقاعسوا عن تقديم أية معونة للجيش الروسي[٥٧]، وعند وصول القيصر بطرس الأول إلى ضفاف نهر بروث لم يكن جيشه يزيد على ثلاثين ألف من الجنود الذي استنزف الجهد والمسير الطويل قدرتهم، وقضى الجوع على قوتهم. اما الجيش العثماني فقد قدرت عدده بمائة ألف مقاتل عند ضفاف نهر بروث، تسانده قوة من جموع تتار القرم يبلغ عددهم أربعين ألف مقاتل. اذ حاول الجيش الروسي الحاق هزيمة بالقوات العثمانية إلا أن سعيهم باء بالفشل، اذ لم تلبث خيام الجيش الروسي أن غصت بالجرحى، وكاد القيصر بطرس الأول أن يقع هو وجنوده بأكملهم في أسر العثمانيين على نهر بروث[٥٨]، لولا تدخل الاميرة كاثرين (**Cathrine**)، زوجة القيصر بطرس الأول، التي اضرمت نار الحماسة في نفوس الجيش الروسي بفضل ما أظهرته من الحزم والشجاعة، وجمعت كل ما كان في معسكر الجيش الروسي من حلى وجواهر وأرسلتها هدية للصدر الاعظم بلطه جي[٥٩] محمد باشا الذي كان يتولى ادارة الحرب في الدولة العثمانية[٦٠]. وقيل أن الاخير وقع في حبال الاميرة كاثرين بعدما وعدته بنفسها، فضلا عن الحلى والجواهر التي أرسلتها، وحدثت المأساة التاريخية عندما أمر بلطه جي محمد باشا قواته بفك الحصار عن الجيش الروسي وبالتراجع عن المناطق التي احتلتها[٦١]، ومن ثم جاء قرار السلطان العثماني بعزل الصدر

الاعظم بلطه جي محمد باشا، وتعين يوسف باشا بدلا منه[٦٢]، كونه أهمل استغلال ألفرصة لتحطيم أو أسر الجيش الروسي والقيصر بطرس الأول نفسه نتيجة تلقيه رشوة كبيرة من القيصر بطرس الأول[٦٣].

اذ كان تواطئ الصدر الاعظم بلطه جي محمد باشا مع الروس صحيحاً كما تقول المصادر، فقد يكون بلطه جي قد وعد الروس بتنازلات اكثر، بدليل أن الأميرة كاثرين كانت تلح على القيصر بطرس الأول لإرسال مفاوضين من قبله إلى معسكر الجيش العثماني للتفاوض معهم على شروط مناسبة يمكن لها أنقاذ الجيش الروسي من المأزق الذي بات يهدده بالفناء، فلو لم تكن الاميرة كاثرين قد حصلت على تنازلات من الصدر الاعظم بلطه جي لما الحت هذا الإلحاح، وقد أظهر القيصر بطرس الأول استعداده للتضحية بكل ما يطلبه الاتراك مقابل اعطاء ضمانات له في بقاء أزوف تحت سيطرته، وفي الوقت نفسه اعلن القيصر بطرس الأول رفضه الاستسلام حتى لو ادى الأمر متابعة الحرب حتى أنتهاء الجيش الروسي بالكامل[٦٤].

وفي ٢١ تموز عام ١٧١١م، تم التوقيع على معاهدة صلح فلكزن بين الدولة العثمانية وبين روسيا في قرية يقال لها ملكستان (**Malkstan**) على شاطئ نهر بروث، وبموجبها اتفق الدولتان على انسحاب الجيش الروسي إلى اراضيها،[٦٥] وعلى اعادة روسيا للدولة العثمانية كل ما كسبه في حربه السابقة عام ١٧٠٠م، بما فيها أزوف وما حولها وحصون الدنيبر، كما وافقت روسيا على هدم قلاع وحصون تاجانروج، وتدمير الاسطول الروسي في البحر الاسود، الذي كلف القيصر بطرس الأول جهوداً جبارة واموالاً طائلة، وأضيف للمعاهدة بند يتعلق موافقة القيصر بطرس الأول على عدم التعرض للملك شارل الثاني عشر ملك السويد والسماح له بالعودة إلى مملكته[٦٦]. وقد وافق الباب العالي على بنود تلك المعاهدة، التي لم تكن في مصلحة الدولة العثمانية بالقدر الكافي، وذلك لأن السلطان احمد الثالث كان يتمنى أنهاء الحرب مع روسيا بغية استعادة ما فقده من ولايات هامة في البلقان بمقتضى معاهدة كارلوفتز[٦٧].

عادت معاهدة فلكزن بفوائد عديدة للقيصر بطرس الأول، فمن جهة عاد القيصر بطرس الأول استعداده من جديد لمحاربة العثمانيين، وكان اندلاع الحرب بين الدولتين وشيك الوقوع،

لولا انكلترا وفرنسا اللتين تدخلتا لحل الخلاف بين الدولتين، لاحباً في نشر السلام بين الدولتين، وانما من اجل تأمين مصالحهم التجارية. وانتهى الأمر بعقد معاهدة ادرنة عام ١٧١٣م، وبمقتضاها تنازل الروس عن اراضي العثمانيين في البحر الاسود، وجرى اعفاء روسيا من الضرائب التي كانت تدفع لخانات تتار القرم[٦٨]. ومن جهة اخرى فإن معاهدة فلكزن اعطت للقيصر بطرس الأول الفرصة والوقت الكافي للتفرغ لمواصلة حربه الطويلة مع السويد، التي عرفت كما ذكرنا سابقاً، بحرب الشمال، ولم تنته هذه الحرب إلا بتوقيع الطرفين معاهدة نيشتادت (Nyshtadt) في ١١ ايلول عام ١٧٢١م، التي بموجبها استولت روسيا على المناطق المتاخمة لبحر البلطيق، واعيدت فنلندا إلى السويد،[٦٩] وبذلك حقق القيصر بطرس الأول وأحداً من اهداف السياسية الروسية الاساسية، وهي الوصول إلى بحر البلطيق.

التوسع الروسي في بلاد فارس وأثره في الدولة العثمانية:

أبدى القيصر بطرس الأول رغبته في التوسع في بلاد فارس منذ عام ١٧١٥م، هادفاً من وراء ذلك، الاستيلاء على بحر قزوين ووضع اسطول روسي فيه، وايجاد طريق تجاري أمين بين روسيا والهند عبر الاراضي الفارسية، والسيطرة على تجارة الحرير الفارسي[٧٠]. غير أن الظروف لم تكن مؤاتية له آنذاك، وذلك لانشغال روسيا بحربها مع مملكة السويد، وبقي القيصر بطرس الأول ينتظر الفرصة السانحة للهجوم على بلاد فارس، ويعمل على ايجاد الحجج والذرائع التي تساعده في تنفيذ ذلك. وسنحت الفرصة له في اجتياح بلاد فارس من خلال عاملين الأول: معاهدة صلح نيشتادت مع مملكة السويد التي حررت روسيا من أنغمارها طويلاً في حرب الشمال، والعامل الثاني: حدث في ١٥ أب عام ١٧٢١م، اذ هاجم اللزكَيون (اللاز)، وهم مسلمو جورجيا الذين يسكنون القوقاز في اقليم داغستان الفارسية، مدينة شماخي عاصمة اقليم شيروان شمال بلاد فارس ونهبوها، كما نهبوا دكاكين التجار الروس التي بلغت قيمتها أربعين مليون ريال روسي[٧١]. وكان هذا الحادث احد مسوّغات القيصر بطرس الأول في التوجه نحو بلاد فارس.

فضلا عن ذلك فإن الأوضاع السائدة في بلاد فارس آنذاك كانت مضطربة والفوضى تسود في أغلب اجزاءها جراء الغزو الافغاني بقيادة محمود خان، الذي استولى على عددٍ من

المدن الفارسية، واستطاع في تشرين الأول عام ١٧٢٢م من خلع آخر حكام الصفويين في اصفهان عن العرش، وهو الشاه حسين بن الشاه عباس الثاني، الذي رقى إلى العرش عام ١٦٩٤م[٧٢]. وصارت بلاد فارس جراء ذلك منقسمة في ولائها بين محمود خان الافغاني وبين الشاه حسين الصفوي.

ارسل القيصر بطرس الأول بعثة إلى الشاه حسين الصفوي ومحمود خان الافغاني، المتنازعين على الحكم في بلاد فارس، وكان الغرض المعلن لهذه البعثة المطالبة بتعويض عما اصاب التجار الروس من خسائر تكبدوها في مدينة شماخي، في حين كان الهدف الحقيقي لهذه البعثة محاولة معرفة القوى المتنافسة على العرش في بلاد فارس، تمهيداً للقيام بعمل عسكري ضدها[٧٣]. وكان رد الشاه حسين الصفوي ان اعتذر بعدم قدرته على تنفيذ طلب القيصر بطرس الأول، اما محمود خان الافغاني فقد حركه كبره ورأى أنه يستطيع تحقيق الأنتصار على روسيا، ومن ثم امتنع عن الاجابة لطلب القيصر الروسي[٧٤]. ومن خلال هذه البعثة، توصلت الدبلوماسية الروسية إلى استنتاج مفاده أن محمود خان الافغاني على جانب كبير من الجهل بالامور السياسية والاستراتيجية، وأنه لا يدرك حقيقة اختلال الأوضاع في شمال بلاد فارس.

بالرغم من ان القيصر بطرس الأول اعلن الحرب على حكام بلاد فارس بسبب عدم الاستجابة لمطلبه، إلا أنه اخذ على عاتقه عدم الاعتراف بمحمود خان الافغاني والتمسك بشرعية الشاه حسين الصفوي. لذلك عندما زحف القيصر بطرس الأول إلى بلاد فارس اعلن أنه لم يزحف طمعا في اراضيها، وإنما إنقاذها من الطاغية الافغاني محمود خان[٧٥].

سار القيصر بطرس الأول على رأس اثنين وعشرين ألف مقاتل في تموز عام ١٧٢٢م من مدينة استراخان، واستولى في طريقه على اقليم داغستان وعلى مدينة باكو في اب عام ١٧٢٢م، وسار القيصر بطرس الأول بجيشه حتى وصل إلى مدينة دربند في ١٤ ايلول عام ١٧٢٢م[٧٦]، وبينما كان القيصر في طريقه إلى شماخي، وصل إليه مبعوث عثماني معلنا أن داود خان زعيم قبائل اللاز في شماخي دخل في حماية الدولة العثمانية، وابلغ المبعوث العثماني المسؤولين الروس عن رفض بلاده لزحف الجيش الروسي على حساب الدولة الفارسية،

وأن استمرار هذا الزحف يعني إعلان الحرب على الدولة العثمانية[٧٧]. ولما لم يكن القيصر بطرس الأول يرغب في عودة الحرب مع العثمانيين من اجل التوسع في اراضٍ فارسية، أصدر القيصر بطرس الأول أمراً بإيقاف الزحف عند دربند تاركا فيها حامية كبيرة، والدخول في مفاوضات مباشرة مع الباب العالي من اجل تسوية الخلافات والوصول إلى حل يرضي الطرفين على حساب ممتلكات الدولة الفارسية[٧٨].

كان هناك عوامل عديدة حالت دون وقوع الحرب بين الدولة العثمانية وبين روسيا، الأول: كان السلطان العثماني احمد الثالث يرغب في السلم، وديمومة الاتصال مع العواصم الأوربية، ومن ثم ليس من مصلحة الدولة العثمانية دخول في حرب مع روسيا[٧٩]، ثانياً: كان القيصر بطرس الأول حريصاً على الاحتفاظ بدربند، وغير راغب في القيام بالدفاع عن سكان جورجيا لقاء حرب مع الدولة العثمانية[٨٠]، ثالثاً: كما كانت خطوط المواصلات القيصر بطرس الأول طويلة ومرهقة، وإلى جانب ذلك، كان القيصر بطرس الأول قد فقد كثير من سفنه الناقلة للمؤن الأمر الذي شل قطاعات كبيرة من جيشه عن العمل[٨١]. رابعاً: أن فرنسا كانت تمارس ضغطا على الباب العالي ليمتنع عن الدخول في الحرب ضد روسيا. وكان يعارض في هذه السياسة ألفرنسية كل من انكلترا والنمسا اللتين كانتا ترغبان في نشوب الحرب بين روسيا والباب العالي[٨٢].

وبالرغم من الظروف الدولية فإن المفاوضات دارت بين روسيا والدولة العثمانية في استانبول، وانتهت المسألة بأتفاق الطرفين على معاهدة ((تقسيم فارس)) في ٢٣ حزيران عام ١٧٢٤م،[٨٣] على النحو الأتي: تستولي روسيا على الاقاليم الشمالية من بلاد فارس (شيروان، وداغستان، وجيلان، ومازندران، واستراباد حتى نهر آراس). وتحصل الدولة العثمانية على الاقاليم الشمالية الغربية الفارسية (كراباغ، وكَنجا، وناهجيفان، وأريفان، وتبريز، وكورس، وأورميا، وماراكَا، وسلماس، وسنه، وهمدان، وكرمنشاه)، كما اتفق الطرفان على اعتراف طهماسب بن الشاه حسين الصفوي شاها على بلاد فارس اذا اعترف بهذه المعاهدة، وفي حالة سعي الشاه طهماسب استرداد ما استولى عليه روسيا والدولة العثمانية بمقتضى تلك المعاهدة فأن روسيا والدولة العثمانية ستتحالف ضد الشاه طهماسب [٨٤].

حصلت روسيا بموجب معاهدة تقسيم فارس على المواقع التي كانت تريدها على بحر قزوين وحالت بين الدولة العثمانية وبين الوصول إلى بحر قزوين.

الخاتمة

تولى القيصر بطرس الأول الحكم في روسيا، وهو يأمل في تحويل بلاده من دولة برية إلى دولة بحرية، غير أن تحقيق ذلك دفعه إلى خوض الحرب مع الدولة العثمانية ومملكة السويد وفي بلاد فارس، بهدف الوصول إلى البحار الدافئة، البحر الاسود وبحر البلطيق وبحر قزوين، ولكن الذي يهمنا هنا حروب القيصر بطرس الأول وتوسعه نحو الدولة العثمانية، ويمكن توضيح سياسته نحو الدولة العثمانية من خلال النقاط الآتية:

١. أن القيصر بطرس الأول كان مصمما على الاستيلاء على أزوف، وتمكن من تحقيق ذلك بعد محاولتين فاشلتين وبعد بناء أسطول بحري قوي.

٢. فشل القيصر بطرس الأول في بناء حلف أوربي قوي ضد الدولة العثمانية مرتين، الأول خلال زيارته إلى أوربا عام ١٦٩٧م بعد استيلائه على أزوف، والثاني في تحريض نصارى البلقان في الدولة العثمانية عام ١٧١٠م، وهذه مسألة طبيعية لأن لكل دولة أوربية لها سياستها ومصالحها ليست بالضرورة أن تتوافق مع سياسة القيصر بطرس الأول وتوجهاته.

٣. المفاجأة التي حدثت للقيصر بطرس الأول اعلان السلطان العثماني حرباً على روسيا عام ١٧١٠، وكان لدى السلطان احمد الثالث مسوّغات مقبولة كإعادة أزوف بعيداً عن التحريضات الخارجية.

٤. صارت بلاد فارس ميدانا من ميادين الصراع بين روسيا والدولة العثمانية، الا أن الدولتين توصلتا إلى تفاهمات تخدم مصالحهما في معاهدة تقسيم فارس عام ١٧٢٤م وبموجبها تمكنت روسيا من الوصول إلى بحر قزوين.

٥. وضع القيصر بطرس الأول على عاتق القياصرة الذين أتوا بعده مسؤولية استكمال السياسية التي بدأ بها، وهي التوسع على حساب الاراضي العثمانية واضعافها.

ملحق رقم (١)
- وصية بطرس الأول لخلفائه -

أولا: يجب ان تشتبك روسيا دائماً بحرب مع احدى الدول المجاورة لها، او غيرها، حتى يبقى جندها في حالة استعداد دائم للقتال، وحتى تكون له باستمرار الأولوية في خوض الحروب.

ثانياً: عليها ان تجتذب إليها مشاهير الرجال من الاجانب، لاسيما رجال الحرب، وان تحبب إليهم الإقامة فيها ، والدخول في خدمتها.

ثالثاً: يجب ألا تدع فرصة اختلاف الدول الاوربية بعضها ببعض، ان تفوتها، بدون ان تتدخل في امورها، لاسيما ألمانيا جارتها.

رابعاً: يجب على معتمدي الروسية– سفرائها وقناصلها – ان يدسوا الفتن في بلاط الممالك الأجنبية وبين مجالس شوراها – أجهزتها التشريعية– مما يعود نفعه على روسيا. وأن لا ينتخب لعرش بولونيا إلا من كان موالياً لروسيا، ومخلصاً في خدمة مصالحها.

خامساً: يجب علينا ان نقتطع ما يمكن اقتطاعه من اسوج (السويد) ونجعل عداوة دائمة بينها وبين الدانمرك.

سادساً: ليختر أمراء روسيا وملوكها زوجات لهم من ألمانيا. ولينظر في الوسائل التي يمكن لها تطوير العلاقات معها، وزيادة التقرب منها.

سابعاً: يجب ملاطفة الانكليز لأجل مصالحنا التجارية، فهي تحتاج أشجارنا لبناء سفنها، ونحن نحتاج إلى مصنوعاتها. فنتبادل الفائدة، وتروج التجارة.

ثامناً: يجب توسيع الحدود الروسية في كل اتجاه، للوصول شمالاً إلى بحر البلطيق، وجنوباً إلى البحر الابيض المتوسط.

تاسعاً: يجب على روسيا العمل باستمرار لاحتلال القسطنطينية، لأن من يمتلكها، يسيطر على العالم. كما يجب السيطرة على تجارة الهند، لأن اكتسابها يغيبنا عن ذهب الانكليز.

للوصول إلى الهدف الاول، يجب متابعة الحرب باستمرار ضد الاتراك،وان تكون لنا مواقع محصنة على شواطيء بحري البلطيق والاسود. ويجب ان نحتل الخليج العربي.

عاشراً: يجب بذل كل الجهود الممكنة للحصول على معاهدة ثابتة مع النمسا، ودعمها فيما تريد من التفوق على ألمانيا. والعمل في الوقت ذاته على ازعاجها بإثارة الشغب والاضطراب فيما بين شعوبها. وتحريض ملوك ألمانيا سراً عليها.

أحد عشر: يقتضي الاجتهاد في حمل النمسا على الموافقة على امتلاكنا القسطنطينية، واذا لم يتم ذلك، فبحملنا اياهم على عدم الاشتراك في حروب اوربية، اذا قدر ونشبت الحرب بين ممالك اوربا، وإلا فإننا نحمل دولة أوربية على محاربتها، او أننا نتخلى لها عن بعض فتوحاتنا، ونسترجعه في القريب من الزمن.

اثني عشر: يجب على روسيا أن تأخذ اليونان في كل مكان تحت حمايتها. فيكونون لنا أصدقاء بين الاعداء.

ثلاث عشر: بعد ان تضم روسيا إليها بلاد اسوج (السويد) – بولندا– بولونيا– وتركيا– وبلاد فارس، يجب عليها ان تتصل بفرنسا والنمسا لحملهما على مشاركتها في السيادة على العالم . وإذا امتنعتا، فعلى روسيا عن توجد أسباباً لمحاربتهما، فتصبح سيدة الشرق والقسم الاكثر اهمية من أوربا.

أربع عشر: إذا رفضت فرنسا والنمسا مشاركتنا في اقتسام العالم، فعلينا تحريض احداهما ضد الاخرة. وعندما يحتدم القتال بينهما ، تنتهز روسيا الفرصة، فتهاجم المانيا وفرنسا معاً. فإذا تم انتصارها عليهما، تخضع البقية بدون أدنى مقاومة[1].

(١) المصدر: العسلي، المصدر السابق، ص ص ١٢٧–١٢٩. محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د.احسان حقي (بيروت– ١٩٩٣)، ص ص ٣٣٠–٣٣٤.

هوامش البحث

(١) – لقب الكبير: عرف القيصر بطرس الأول بهذا اللقب، لنجاحه في استبدال روسيا من دولة تتبع عادات آسيوية قديمة إلى دولة أوربية حديثة تتصل اتصالاً وثيقاً بالحضارة الغربية، كما نجح في تحويل روسيا من دولة برية إلى دولة بحرية تطل على البحر الأسود وبحر قزوين وبحر البلطيق، وفضلا عن ذلك كان له إصلاحات في مجالات أخرى. ينظر: حسن صبحي، محاضرات في التاريخ الأوربي الحديث (مصر–١٩٧٥م) الجزء الأول، ص ص٢١١–٢١٢.

(٢) ايفان الثالث: وهو من سلالة روريك السكندنافي، تمكن من تخليص بلاده من سيطرة المغول عام ١٤٨٢م، واستطاع كذلك من تأسيس دولة قومية عاصمتها موسكو بحلول القرن السادس عشر، وقد وسع أراضيه شمالاً وشرقاً وجنوباً فاستولى على مدينة نوفكَورود التجارية وبسكوف، ووصل شمالاً إلى المحيط المنجمد الشمالي، ومن الشرق وصل إلى جبال اورال. ينظر: روبرت. ر. بالمر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة: محمود حسين الأمين (بغداد – ١٩٦٤م) الجزء الأول، ص٣٥٥. محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠–١٧٨٩م (بغداد– ١٩٨٢م)، ص ص ٦٦–٦٧.

(٣) – هيوغ واطسون، الاستعمار الجديد، نقله إلى العربية: لجنة الترجمة في دار الشرق الجديد (لندن– لا.ت)، ص١١. علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، (بيروت – ٢٠٠٢م)، ص٢١١.

(٤) – بطرس الأول: ولد القيصر بطرس عام ١٦٧٢م، وهو الابن الثاني للقيصر ألكسيس من زوجته الثانية ناثاليا، تم تعيين بطرس قيصراً وعمره عشر سنوات، بناء على نصيحة البطريرك عام ١٦٨٢م، لكن أخته صوفيا رفضت ذلك وحرضت الحرس الملكي المسمى استرلتش على التمرد ونصبت نفسها وصياً على بطرس، لكن الأخير تمكن في عام ١٦٨٩م من تولي الحكم بعد أنقلابه على أخته صوفيا وأرسلها إلى أحد الأديرة.

- Jesse D. Clarkson, A History of Russia From the Century (London-1962), P 216.

- Basil Dmytryshyn, A History of Russia, (New Jersey – 1977) PP 250-251.

(٥) – للاطلاع على بنود الوصية، يراجع: ملحق رقم (١)، ص ص ١٥–١٦ من البحث.

(٦) – بسام العسلي، بطرس الأكبر (بيروت–١٩٨٠م) ص١٢٧.

(٧) – احمد عبد الرحيم مصطفى، ((وصية بطرس الأكبر المزيفة))، مجلة العربي (الكويت)، العدد(٢٧٣)، أغسطس ١٩٨١م، ص ٥٦. وكذلك: محسن حمزة حسن العبيدي، ((الأزمة البلقانية ١٨٧٥–١٨٧٨م دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوربية))، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م، ص٣٣.

(٨) – زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري (بغداد– ١٩٦٨م) ص ١٤٣.

(٩) – يراجع ملحق رقم (١) ، ص ص ١٥–١٦ من البحث.

(١٠) – الاتفاق المقدس: وُقّع هذا الاتفاق في ٥ آذار عام ١٦٨٤ بين الدول الأوربية الآتية: بروسيا والنمسا وبولندا والبابوية والبندقية واسبانيا وتوسكانا وفرسان مالطة. ينظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، (استانبول–١٩٨٨م)، المجلد الأول، ص٥٤٣.

(١٢) – محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (القاهرة– ١٩٧٦)، ص٩٦.

(13) –Reşat Ekrem, Osmanli Muahedeleri Ve Kapitülâsiyonlar 1300-1920 Ve lozan Muahedesi 24 Temmuz 1923 (lstanbul-1934) S77.

(14) – William Miller, The Ottoman Empire and Its Successars 1801-1927, (London-1966) P9.

(١٥) – صالح، المصدر السابق، ص ص٤١٠–٤١١.

(١٦) – علي حسون، العثمانيون والبلقان (بيروت–١٩٨٦م) ص ص١٦٥–١٦٦.

(١٧) – احمد حامد، مصطفى محسن، توركيه تاريخى قرون جديده وعصر حاضرده استانبولك فتحندن زمانمزه قادار (استانبول–١٩٢٦م) ص٢٦٤.

(18) – Akdes Nimet Kurat, Türkiye Ve Rusya (Ankara-1990) SS12-13.

(19) – Clarkson, op. cit., P 219. V. J. Parry, A History of the Ottoman Empire to 1730 (Cambridge-1976) P 195.

(٢٠) – نخله قلفاط، تاريخ روسيا الحديث (بيروت– ١٨٨٦م) المجلد الأول، ص٨١.

- Dmytryshyn, op. cit., P 251.

(21) –Parry, op. cit., P 195. Zubovsky Boulevard, History of the Ussr (Moscow - 1977) P 153.

(22) – Ekrem, A. G. E., S 78.

. ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة وتعليق: د. معروف خزنه دار (موسكو– ١٩٦٥م) ص٧٠.

(٢٣) – حامد ومحسن، المصدر السابق، ص٢٥٩.

- Kurat A.G.E., S 13.

(٢٤) – مجلس الدوما: كان يضم كبار مستشاري القيصر من أمراًء وُرؤساء العائلات الكبيرة، الغي في عام ١٧١١ وحل محله مجلس الشيوخ. ينظر: عبد الحميد البطريق، عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، (بيروت – ١٩٧١م) ص ص٢٥٢ –٢٥٣.

(٢٥) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص٨٣.

(26) – Boulevard, op. cit., P 153.

(٢٧) – احمد أفندي عبيد الطهطاوي (المترجم)، الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر، إمبراطور الموسقو (القاهرة–١٢٦٦هـ) ص ص٨١–٨٢.

(28) –Parry، op. cit., P 198.

(٢٩) – صبحي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣١.

(٢٨) – هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ترجمة: احمد نجيب هاشم، (القاهرة–١٩٦٥م) ص٣٦٧.

(30) – Boulevard, op. cit., P 153.

(٣١) – حرب الوراثة الاسبانية: اندلعت بين فرنسا من جهة وبين التحالف المؤلف من انكلترا والنمسا وبولندا وأمير براندنبرج بروسيا وهانوفر و البرتغال وأمير سافوي من جهة أخرى واستمرت الحرب من ١٧٠٢ إلى ١٧١٣م. ينظر: صالح، المصدر السابق، ص ص ٣٤٢– ٣٤٤.

(٣٢) – حامد ومحسن، المصدر السابق، ص٢٦٠.

- Boulevard, op cit., P 153.

(34) –Ekrem, A.G.E., S 78.

(35) –Dmytryshyn, op. cit., P 253. Kurat, A.G.E. S 15.

(٣٦) – دانتسيغ، المصدر السابق، ص٧٢.

(37) – Parry, op. cit., PP 198-199

وقد نصت شروط المعاهدة على تنازل الدولة العثمانية عن كل من بلاد المجر عدا تمشوار وكرواتيا وترانسلفانيا وسلوفينيا للنمسا، كما تنازلت عن موره ودالماشيا للبندقية وبادوليا لبولندا. عن شروط المعاهدة، ينظر: ماثيو أندرسون، تاريخ القرن الثامن عشر في أوربا، تعريب: نور الدين حاطوم (دمشق–١٩٧٧م) ص٣٢.

(38) – Boulevard، op cit.، P 153.

(٣٩) – الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية، (بيروت –١٩٧٧م) الجزء الأول، ص٦٠١.

- Dmytryshyn, op. cit., P 253.

(40) – Clarkson, op. cit., P 223.

(41) -Edward Acton, Russia, The Tsarist and Soviet legacy (London-1995), P 60.

(٤٢) – وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، اشرف على الترجمة: د. محمد مصطفى زيادة، (القاهرة–١٩٦٣م) الجزء الرابع، ص١٢٧٢.

- Kurat, A.G.E., S 18.

(43) – Clarkson, op. cit., P 224.

(٤٤) – صبحي، المصدر السابق، ص٢١٩.

(٤٥) – حامد ومحسن، المصدر السابق، ص ص٢٦٣-٢٦٤.

- Miller, op. cit., P 7.

(٤٦) – الدسوقي، المصدر السابق، ص٩٨.

(47) – Ekrem, A.G.E., S 76.

(٤٨) – الدسوقي، المصدر السابق، ص ص٩٨-٩٩.

(49) – Ekrem, A.G.E., S 19.

(٥٠) – الطهطاوي، المصدر السابق، ص١٦٧. قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص١٨٦.

(51) -Kurat, A.G.E., S 19.

(٥٢) – الطهطاوي، المصدر السابق، ص١٦٨، دانتسيغ، المصدر السابق، ص٧٢.

(٥٣) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص٢٦٥.

- Ekrem, A.G.E., S 84.

(54) Boulevard, op. cit., P 158.

(٥٥) – هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦ (بغداد-١٩٩٠م) ص٣٢.

(٥٦) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ص ١٩٠-١٩١.

- Kurat, A.G.E., S 20.

(٥٧) – الطهطاوي، المصدر السابق، ص ١٧٢. حامد ومحسن، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(58) – Ekrem, A.G.E., S 84.

(٥٩) – بلطه جي: قاطع الاخشاب. ينظر: هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة: د. احمد عبد الرحيم مصطفى، (مصر- ١٩٧١م) الجزء الأول، ص ١٢٥.

(60) - Ismail hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi (Ankara- 1961) 1.Cilt, S 343.

(٦١) – محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق (دمشق– ٢٠٠١م) ص ١٧٤.

Parry و op. cit., PP 206-207.

(٦٢) –قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ٢٠٠. أوزتونا، المصدر السابق، مج١، ص ٥٩٧.

(63) - Parry, op. cit., P 158.

(٦٤) – حامد ومحسن، المصدر السابق، ص ٢٦٦. العسلي، المصدر السابق، ص ص ٧٦–٧٧.

(٦٥) – الطهطاوي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

Boulevard, op. cit., P 158.

(66) - J.A.R. Marriott, the Eastern Question (London- 1961) P 133.

(٦٧) – الدسوقي، المصدر السابق، ص ٩٩.

(68) – Ekrem, A.G.E., S 85. Kurat, A.G.E., S 21.

(٦٩) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ص ٢٧٢–٢٧٧

- Kurat, A.G.E., S 21.

- Clarkson, op. cit, P 225. Dmytrshyn, op. cit, P 257. بينما يرى

أن معاهدة وقعت في ٣٠ اب عام ١٧٢١م.

(٧٠) – روبرت دبليو. اولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية (١٧١٨–١٧٤٣م) دراسة عن الثورة في العاصمة والحرب في اقاليم الامبراطورية العثمانية، ترجمة: د. عبد الرحمن بن الحاج أمين بك الجليلي (الرياض– ١٩٨٣م)، ص ١٠٢.

(٧١) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ٢٨٠.

(72) -Ekrem, A.G.E., S 89, Parry, op. cit., P 216.

(٧٣) – عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث الشعوب الاسلامية، الاتراك العثمانيون– الفرس– مسلمو الهند (بيروت – ١٩٧٣م) ص ٢٨٩.

(٧٤) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ٢٨٠.

(٧٥) – نوار، المصدر السابق، ص ص ٢٨٩–٢٩٠.

(76) - Parry, op. cit, P 216. boulevard, op. cit, P 161.

(٧٧) – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله إلى العربية: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي (بيروت– ١٩٧٧م) ص ٥٢٤.

(٧٨) – قلفاط، المصدر السابق، مج١، ص ٢٨٢. نوار، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(79) - The New Britannica Encyclopedia (London- 1974) vol.13, P 784.

(٨٠) – اولسن، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٨١) – نوار، المصدر السابق، ٢٩٠.

(٨٢) – اولسن، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(83) - Ekrem, A.G.E., SS 89-90. Kurat, A.G.E., S 22.

(84) J.C. Hurewitz, Diplomacy in The Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914 (Princetion- 1956) vol.1, PP 142-145.